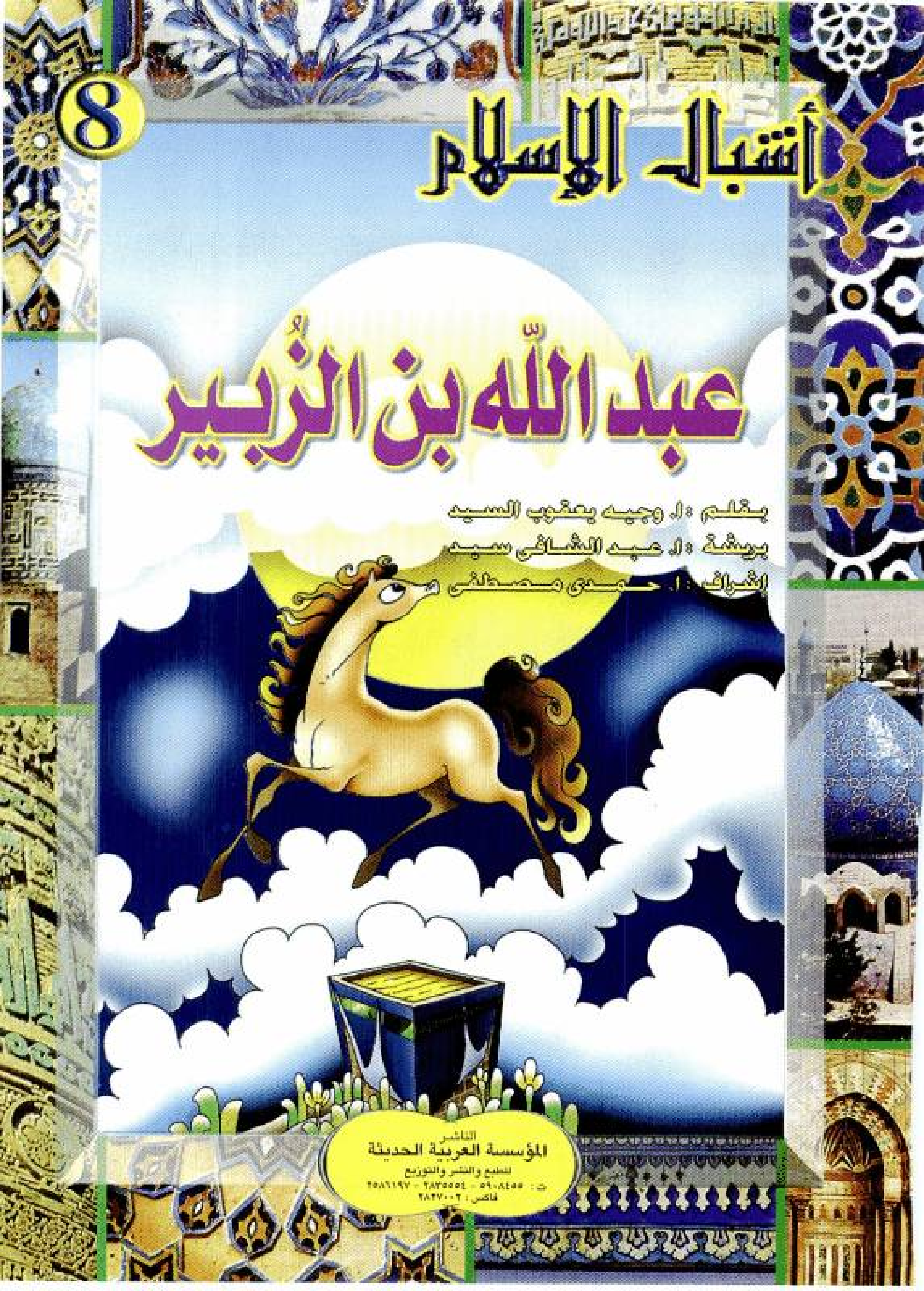
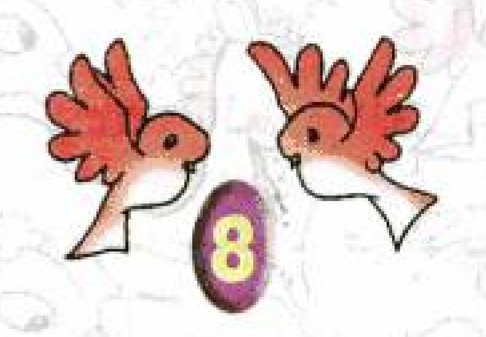

8
أشبال الإسلام
عبد الله بن الزبير
بقلم : أ. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٤٧٠٠٦



أشبال الإسلام

«الطفولة» مرحلة مهمة للغاية . وهى ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان فى شبابه وفى رجولته .

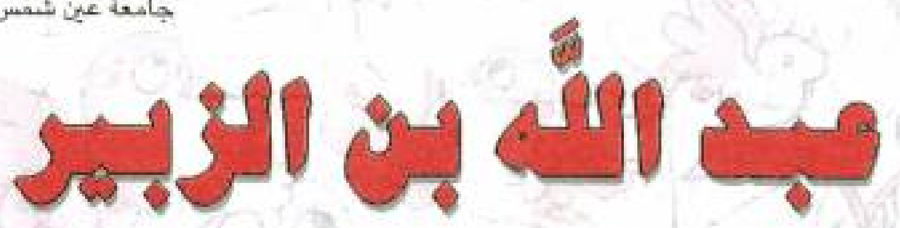
وفى هذه السلسلة تطالع :

صوراً مختلفة للنبوغ والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار» ، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم ، فكان من بينهم : العالم ، والمحارب الشجاع ، وقائد الجيش .

إن «الطفل الصغير» يستطيع أن يعرف دوره فى الحياة ، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة ، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه .

وسوف يجد الطفل المتعة فى أثناء قراءة هذه السلسلة التى كُتبت بأسلوب قصصى مشوق ولغة أدبية شفافة .

وجيه يعقوب السيد
مدرس مساعد بكلية الألسن
جامعة عين شمس



بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

هذا الطِّفْلُ الصَّغيرُ الذى بدأَتْ مَظاهِرُ الرُّجولةِ عليْه مُنْذُ وقتٍ مُبكِّرٍ ، حياتُه تُشْبِه الأَساطيرَ ، وإِنْ كانتْ حقيقةً كَضَوْءِ الشَّمسِ الْباهِرِ .

إِنَّه (عبدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ) .

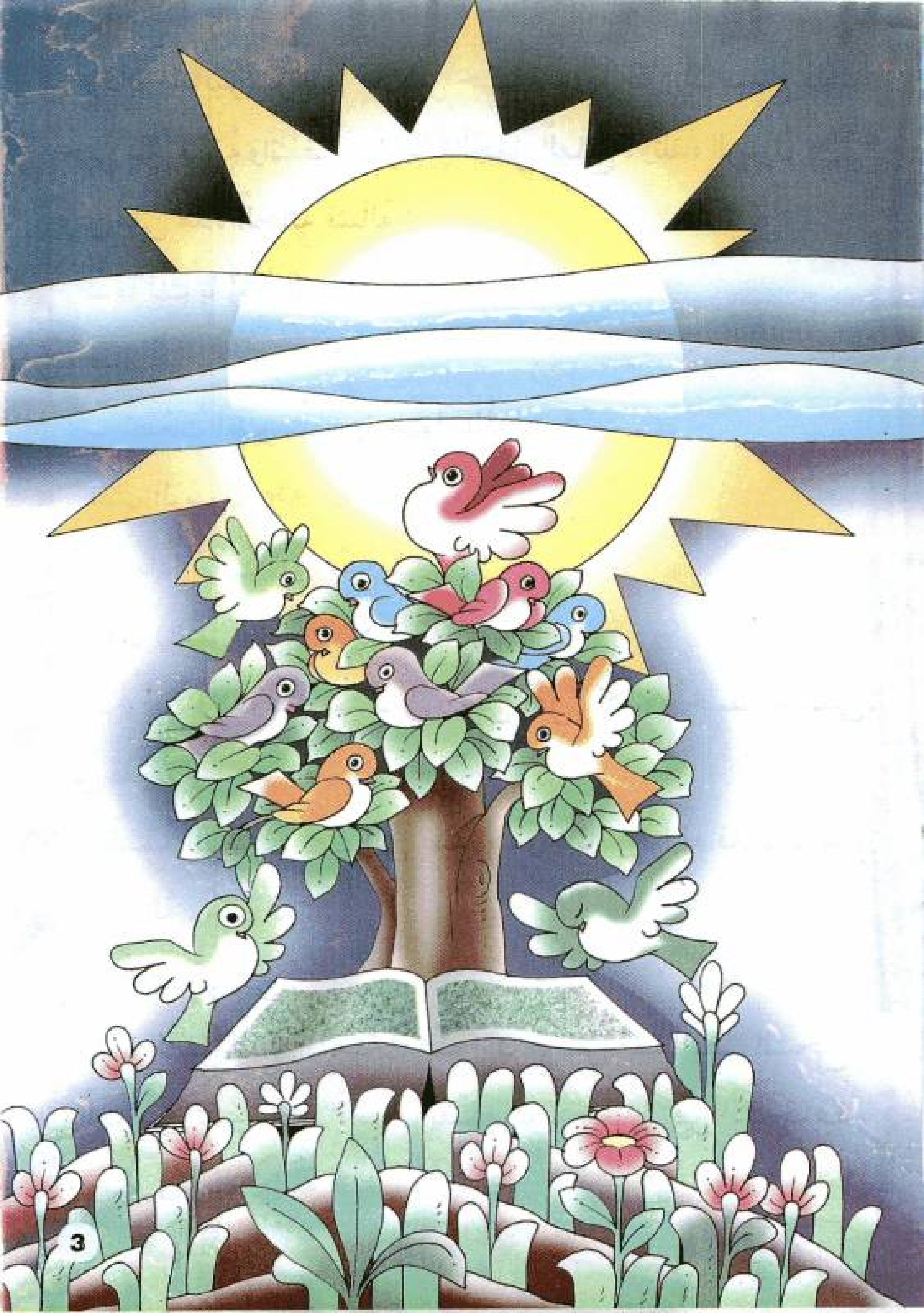
أَبوهُ هو (الزُّبَيْرُ بنُ الْعوَّامِ) ابنُ عمَّةِ رسولِ اللَّه ﷺ ، ووَاحِدٌ مِنْ عَشْرةٍ بشَّرَهُمُ الرسولُ ﷺ بالْجنَّة .

وأُمُّهُ هى السَّيدةُ (أَسْماءُ بنْتُ أَبى بكْرٍ الصِّديقِ) رضى اللّه عنها ، الْمَعْروفَةُ بذاتِ النِّطاقَيْنِ ، وهى مُجاهدةٌ عظيمةٌ ، كان لها دَوْرُها الْعظيمُ فى جهادِ الرَّسولِ ﷺ ضدَّ الْمشْرِكين .

وهذه الأُسْرةُ الطَّيِّبَةُ أُسْرَةٌ قُرآنيةٌ نشأَتْ على تَعاليمِ الْقرآنِ ، وتحمَّلَ كلُّ فرْدٍ فيها نَصيبَهُ مِنَ التَّعْذيبِ والاضطِهادِ .

(فالزُّبَيْرُ بنُ العوَّامِ) واحدٌ منْ أَشْجعِ الْفُرْسانِ الذينَ عَرفَتْهُمْ أُمَّةُ العربِ ، أَسْلمَ مُنْذُ وقتٍ مُبكِّرٍ ، فكانَ منْ أَوائلِ مَنْ دخلوا فى الإِسْلامِ ، وحَمَى الرَّسولَ ﷺ وافْتَداهُ بنَفْسه .

ومِنْ مَواقِفه الْعظيمةِ ، أَنَّهُ كان جالسًا فى بَيْته فسمعَ أَحَدَ النَّاسِ يَطُوفُ بالشَّوارِعِ ويَزْعُمُ أَنَّ الرسولَ ﷺ قدْ قُتلَ .



وكانَ (الزُّبَيْرُ) يرْتدى مَلابِسَ خفيفَةً ، وبِمُجَرَّدِ أَنْ سمِعَ ذلك حتى سَلَّ سيْفهُ وانْتَفَضَ خارجًا كالْجمَلِ الْهائجِ . وتلقَّاهُ الرسولُ ﷺ وهو على هذه الْحالةِ فسألهُ :

ـ ما لَكَ يا زُبَيْرُ ؟

فقال :

ـ سمعْتُ أَنَّك قُتِلْتَ يا رسولَ اللَّهِ .

فقال الرسولُ ﷺ :

ـ فماذا أَرَدْتَ أَنْ تصْنعَ ؟

فقال (الزُّبَيْرُ) :

ـ أَرَدْتُ واللَّهِ أنْ أسْتَعْرِضَ على أَهْلِ مكَّةَ ، وأَخْبِطَ بسَيْفِى مَنْ قَدَرْتُ عليهِ .

فضمَّهُ الرسولُ ﷺ إلى صدْرِهِ ، وأَعْطاهُ إِزارًا له فاسْتَتَر به ، ثم دعَا لهُ ، وقالَ لهُ :

ـ أَنْتَ حَوارِيِّى .

هذا الطِّفْلُ الذى نتحدَّثُ عنْهُ إذنْ هو ابْنُ هذا الْبَطلِ الشُّجاعِ ، والْفارس الذى كانَ الْعربُ يضْربونَ به الْمثَلَ فى الشجاعةِ ، و(حَوَارىّ رسول اللَّه ﷺ) .

وُلِدَ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) فى الْمدينَةِ عَقِبَ هِجْرَةِ الرَّسولِ ﷺ إلَيْها ، وكان أَوَّلَ مولُودٍ يولَدُ لِلْمُسْلمينَ بعْدَ الْهِجْرَةِ .

وكانتْ فَرْحةُ الرَّسولِ ﷺ بِمَوْلِدِه لا تُوصَفُ ، فَقدْ وُلِدَ فى وقْتٍ أَشاعَ الْيَهُودُ فيه أَنَّ المسْلمينَ لَنْ يُولَدَ لهمْ مَولودٌ بعْدَ هِجْرَتِهمْ إلى الْمدينَةِ ، لأنَّ كهَنَتَهُمْ قد سَحَرُوا الْمسلمينَ .



وكان ذلك نوْعًا من (حَرْبِ الأَعْصابِ) مِنْ أجْلِ صَدِّ النَّاسِ عنِ الدُّخولِ فى الْإسلامِ ، خوْفًا مِنْ أَنْ تُصيبَهم هذه اللَّعْنَةُ .

ولكنَّنا ـ بلا شَك ـ نُريدُ أَنْ نعْرِفَ كيْفَ كانتْ حياةُ هذا الْبطَلِ شَبيهَةً بِالْأساطِيرِ ، وما هىَ الأَحْداثُ التى مرَّتْ بحياته ؟

لقد كانتْ طُفُولَةُ (عبدِ اللّه بنِ الزُّبَيْرِ) مِثالاً واضحًا للرُّجولَةِ الْمُبَكِّرَةِ ، فذاتَ يوْم كانَ (عبدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ) ـ وهوَ دونَ الْعاشِرَةِ ـ يسيرُ مع جَماعةٍ منَ الأَطْفالِ . وفجأةً رأَى الأطْفالُ (عُمَرَ بنَ الْخطَّابِ) فهَربوا مُسْرِعينَ .

لكنَّ (عبدَ اللّه بنَ الزُّبَيْرِ) ظلَّ كما هو ، لَمْ يَهْرُبْ ولمْ يظْهَرْ عليْهِ الْخَوْفُ أَو الاضْطِرابُ ، فلَفَتَ نَظَرُ (عُمَرَ بنِ الْخطَّابِ) الذى اقْتَربَ مِنْه وألْقىَ عليهِ السَّلامَ ثم سأَلَهُ :

ـ لماذا لمْ تَبْتَعِدْ كما ابْتَعدَ رِفَاقُكَ ؟

وفى ثَباتٍ وجُرْأَةٍ لا ينْقُصُهمَا الأَدَبُ الرَّفيعُ أَجابَ :

ـ إنَّ الطَّريقَ ليْسَ ضيِّقًا فأُوَسِّعُهُ لكَ ، ولمْ أَرْتكِبْ ذَنْبًا فأَخافَ مِنْ عقابِك .

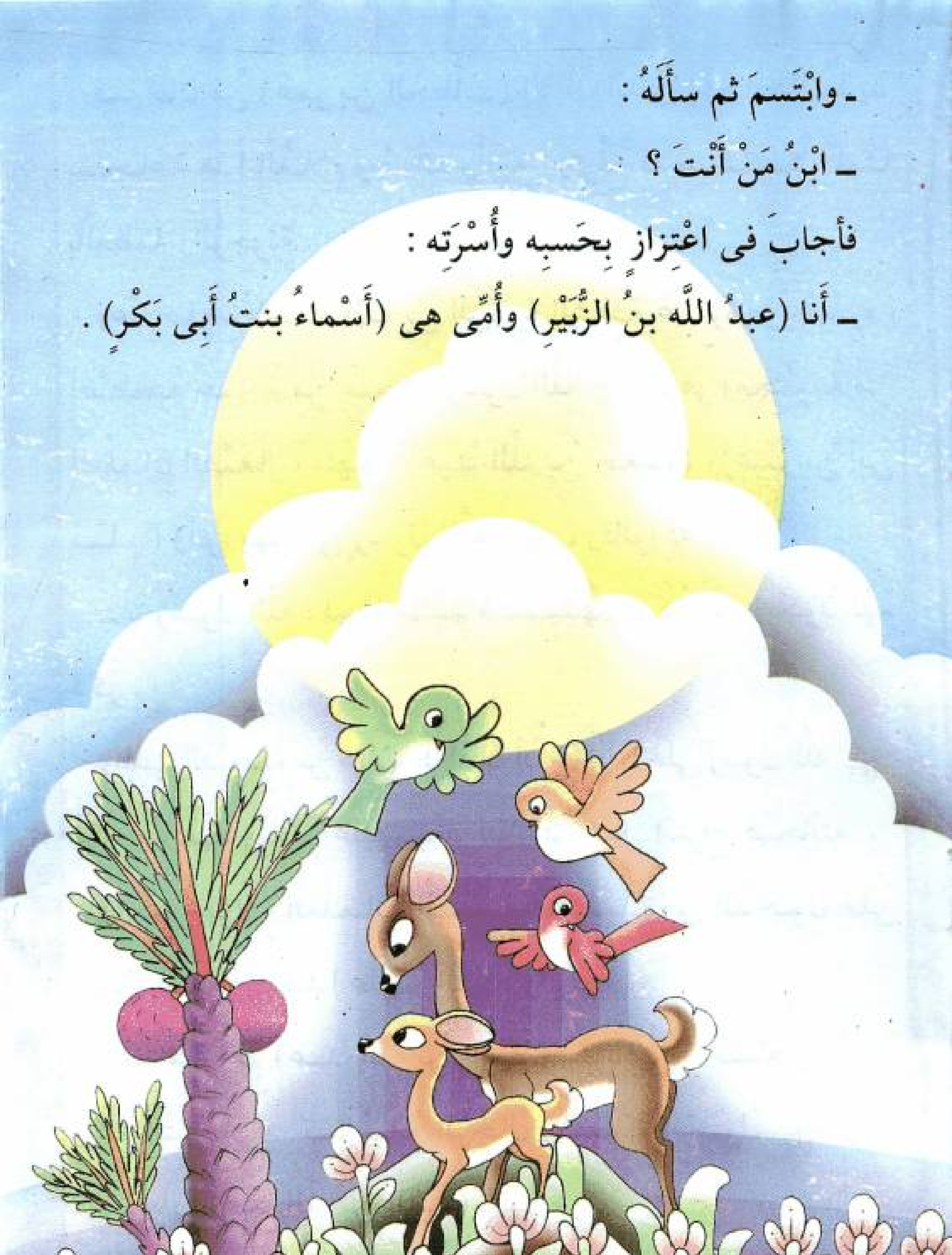
سُرَّ (عُمَرُ) بإجَابةِ هذا الطِّفْلِ الصَّغيرِ ، فربَّتَ على كَتِفهِ

- وابْتَسمَ ثم سأَلَهُ :

- ابْنُ مَنْ أَنْتَ ؟

فأجابَ فى اعْتِزازٍ بِحَسَبِه وأُسْرَتِه :

- أَنا (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) وأُمِّى هى (أَسْماءُ بنتُ أَبِى بَكْرٍ) .



فما كانَ مِنْ (عُمَرَ بنِ الْخطاَّبِ) إلاّ أنْ أبْدَى إعْجابَهُ الشَّديدَ بِشجاعَةِ هذا الْغُلامِ وجُرْأَتِه وأَدَبِه ، وتوقَّعَ له مُسْتَقْبلاً مليئًا بالْعظَمةِ والرُّجولةِ .

وعِنْدما بلَغ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِه ، اصْطَحبهُ جماعَةٌ مِنْ صَحابَةِ رسولِ اللَّه ﷺ ، هو ومَجْمُوعةً مِنَ الْغِلْمانِ الصِّغار ، مِنْهُمْ : (عبدُ اللَّه بنُ جعْفَر) و(عُمَرُ بنُ أَبى مُسْلِم) وأَتَوْا بهمْ إلى رسولِ اللَّه ﷺ ، وقالوا لهُ :

ـ يا رَسُولَ اللَّهِ ، لو بايَعْتَهُمْ فتُصيبُهُمْ بَرَكَتُك ، ويكونُ لهمْ ذِكْرٌ .

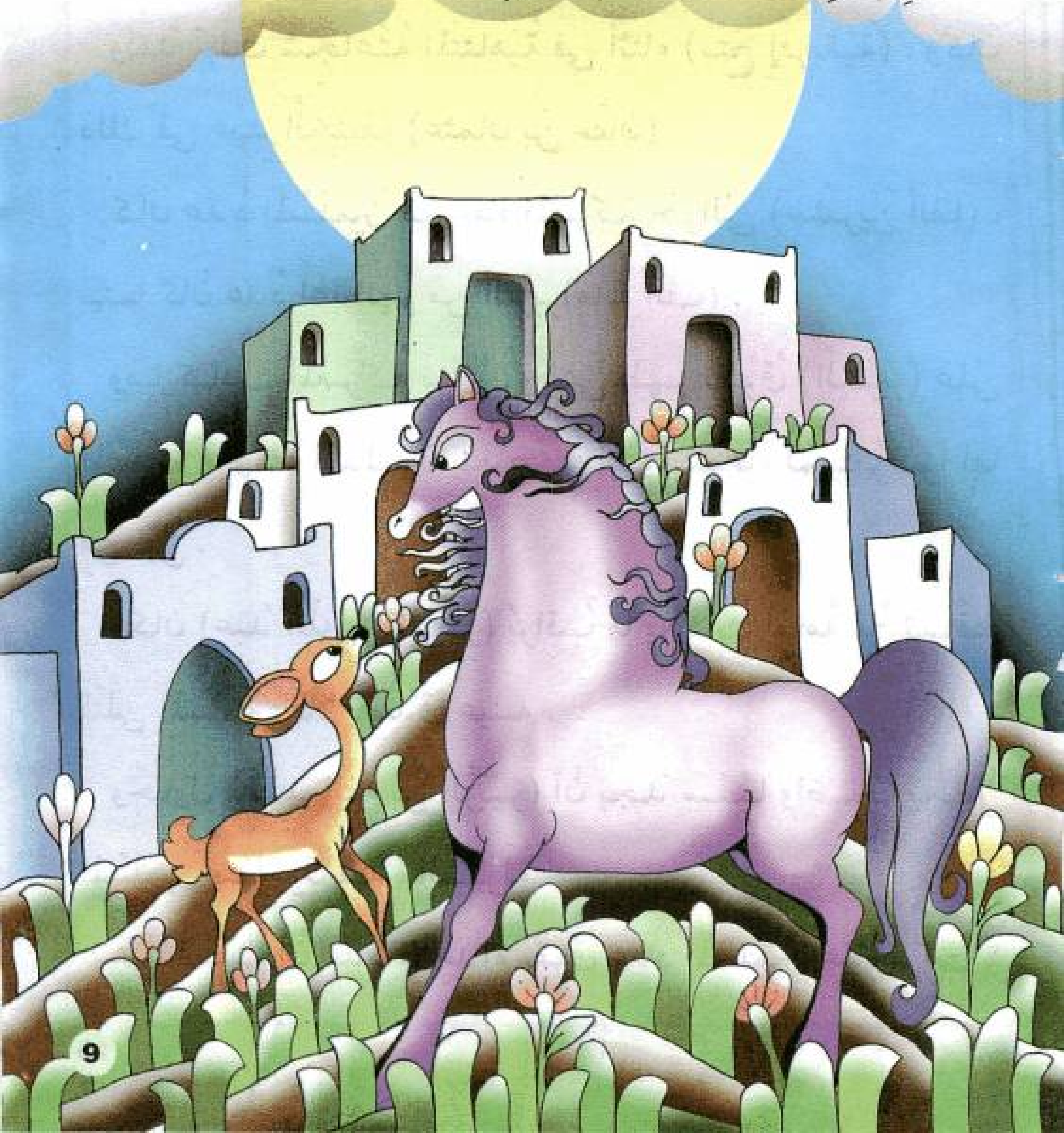
وطلبَ الصَّحابَةُ مِنْ هؤُلاءِ الغِلْمان أنْ يدْخُلُوا على رَسولِ اللَّه ﷺ لِكَىْ يُبَايِعَهُمْ ويُسَلِّمَ عليْهِم بعْدَ أنْ وافقَ على اقْتِراح صَحَابَتِه .

وأَحسَّ هؤلاءِ الْغِلْمانُ بالْهَيْبَةِ الشَّديدةِ مِنَ الدُّخولِ على رَسولِ اللَّه ﷺ فبدا علَيْهِمُ التَّرَدُّدُ والرَّهْبَةُ .

وعِنْدما رآهمْ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) مُتَرَدِّدينَ ، تقدَّمَ ومدَّ يدهُ وبايعَ النَّبىَّ ﷺ كَما يُبايعُ الرِّجالُ . فتبسَّمَ الرَّسُولُ ﷺ وقالَ مُثْنِيًا على (عبدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْرِ) :

ـ إِنَّهُ ابْنُ أَبيهِ .

وكَبُرَ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) وصارَ شابًا يافعًا ، وظلَّتْ قُوَّتُهُ وصلابَتُهُ وثباتُهُ فى الْحَقِّ صِفاتٍ ملازِمةً لهُ طُوالَ حياتِهِ ، فهو لا يعْرِفُ سِوى الْحقِّ ، ولا يَنْحازُ إلا إلَيْه مَهْمَا كلَّفهُ ذلك .



فى الحُروبِ التى خاضَها المسْلمونَ ضِدَّ المْشركينَ، كانَ (عبدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ) يعْرِفُ مكانَهُ فى مُقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ، يقاتِلُ بكلِّ شجاعَةٍ وقُوَّةٍ، ولا يعْرِفُ أبدًا التَّراجُعَ أو الاسْتسْلامَ، ولا يعْرِفُ الرَّاحةَ ولو كانتْ مِنْ أجْلِ الْتقاطِ الأَنْفاسِ.

ولقدْ تجلَّتْ شجَاعَتُهُ المتناهِيَةُ فى أَثْناءِ (فَتْحِ إِفْريقيَّةَ)، وكانَ ذلكَ فى عَهْدِ الْخليفةِ (عثمانَ بنِ عفَّانٍ).

كانَ عَددُ المسْلمينَ فى هذه المعْركَةِ حَوَالى (عِشْرينَ أَلْفًا)، بَيْنما كانَ عددُ أَعْدائِهِمْ مِن البَرْبَر (مائةَ ألْفٍ).

وما كادَتِ المعْركةُ تَدُورُ، حتى ظَهَر تَفَوُّقُ (الْبرْبَرِ) على المسْلمينَ، وكادَ المسْلمونَ يتعَرَّضُونَ لِهَزيمَةٍ شَنْعاء لمْ يتعرَّضَوا لها مِنْ قَبْلُ.

وكان (عبدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ) يُراقِبُ ما يحْدُثُ أَمامَهُ مِنْ تساقُطِ قَتْلَى المسْلِمينَ فلا يصدِّق عينيه.

وحاولَ (عبدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ) أنْ يجدَ سَبَبًا واضِحًا يجْعلُ المسْلمينَ ينْهزِمُونَ بهذه السُّهُولَةِ.

هل السَّببُ أَنْ عَددَ الأَعْداءِ يفُوقُ عددَ المسْلمِينَ عِدَّةَ مرَّاتٍ؟

ولكنْ : مُنْذُ متى والمسْلمونَ يَخْشَوْنَ مِنَ الكَثْرَةِ ؟ إنَّهمْ لا ينْتَصِرونَ إلا بعَقيدَتِهِمْ الصُّلْبَةِ ، وسِلاحُهُم الْحقيقيُّ هو الإيمانُ باللَّه والتَّوكُّلُ عليْه .

وظلَّ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) يفكِّرُ ويتأمَّلُ في خطِّ سَيْرِ المعْركَةِ وهو يحْمِلُ سَيْفَهُ ويُقاتلُ ، وأخيرًا لاحَظَ أنَّ مصْدَرَ قوَّةِ (الْبَرْبَرِ) تَجيءُ مِنْ ناحيَةِ قائدِهم الذى كانَ يقِفُ على رَبْوَةٍ عاليَةٍ ،



وحَوْلهُ مئاتُ الْجنُودِ يَحْمُونَه مِنَ الْقَتْلِ ، بيْنما هوَ يبُثُّ الْحماسَةَ فى نُفُوسِ جُنُودِه ويحرِّضُهُمْ على الْقِتال والْحَرْب .

تفكَّرَ (عـبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْـرِ) فى الأمْـرِ طويلاً ، وأَخـيـرًا هدَاهُ تفْكيرُهُ إلى ضَرُورَةِ قتْلِ هذا الْقائِدِ ، الذى يُعَدُّ مصْدَرَ قوَّةِ هذا الْجيْشِ الْعَنيد .

ولكنْ كيْفَ يَصلُ إلَيْـه ؟ إنَّه لكَىْ يقْتُلَ هذا الْقائِدَ عليْـه أَنْ يَجْتازَ مِئَاتِ بلْ آلافِ المقَاتلينَ مِنْ جُيُوشِ الْبَرْبَرِ .

وهلْ هذا شَىءٌ صـعْبٌ على (عـبـدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْـرِ) الْبطَلِ الشَّجاعِ مُنْذُ أَنْ كان طِفْلاً ؟ لقدْ راحَ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) يَشُقُّ الصُّفُـوفَ ، ويَضْـربُ بسَـيْفـهِ فى كُلِّ اتِّجاهٍ ، والْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ كان يعْتَرِضُ طَرِيقَهُ مِنْ جُنودِ الْبَرْبَرِ .

وأَخيرًا وصلَ إلى مُرادِه ، وهَوَى بسَيْفِهِ علىَ رأْسِ قائدِ الْبرْبَرِ الذى سقطَ على الأَرْضِ مَيْتًا ، وارْتفعَتْ تَكْبيراتُ المسْلمينَ ، وعلَتْ راياتُهُمْ ، وارتَفَـعتْ رُوحُـهمُ المعْنَوِيَّةُ . بيْنمَا تشَتَّتَ شَمْلُ أعْدائِهمْ وتفرَّقوا بعْدَ أَنْ فَقَدُوا أهمَّ مَصْدَرٍ مِنْ مصَادرِ قوَّتِهمْ .

وهَجَمَ المسْلمونَ على الْبَرْبَرِ هُجومًا قوِيًا ، بعْد أَنْ نظَّموا صُفُوفَهمْ ،

فَكَتَبَ اللّٰهُ لَهُمُ النَّصْرَ الْمُبينَ على أَعْدَائِهِمْ ، ولَوْلا هذا النَّصْرُ لَتأَخَّرَ دُخولُ الإِسْلامِ وسْطَ وشَمَالَ إِفْريقيَا إلى أَجَلٍ لا يعْلَمُهُ إلا اللّٰهُ .

وكـان السَّـبَبُ الرَّئيـسيُّ فى انْتِصـارِ المسْلمينَ هو تَوْفِـيقُ اللّٰهِ لـ (عَبْدِ اللّٰه بنِ الزُّبَيْرِ) وإِقْدامُهُ على هذا الْعَملِ الشُّجاعِ الذى كانَ بِمَثَابَةِ اللَّطْمَةِ الشَّديدةِ على جَبِينِ الأَعْدَاءِ .



إنَّهُ فى ساحةِ المعْركةِ قوىٌ يَحْملُ إرادَةً مِنْ حَديدٍ وعزيمَةً لا تَلِينُ ولا تَضْعُفُ .

وهذه الْقُوَّةُ وتِلْكَ الشَّجاعةُ ، كانَ مَصْدَرُهُمَا قُوَّةٌ إيمانِيَّةٌ أَقْوَى مِنَ الْجِبالِ .

فعَبْدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ فى حَياتِهِ دائِمُ الذِّكْرِ والصَّلاةِ ، لا يعْرِفُ الْكَسَلَ ولا الرَّاحةَ فى الْعِبادَةِ ، ولمْ يتعوَّدْ على التَّراخِى والرُّكونِ .

صَلاتُهُ خُشُوعٌ تامٌّ ، وفهْمٌ عَميقٌ لِلْهدَفِ مِنَ الصَّلاةِ .

وصفَ بعْضُ المعاصِرينَ «لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ» خُشُوعَهُ فى الصَّلاةِ بِقَوْلِهِ : ـ لقدْ كانَ (عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ) يْدخُلُ فى الصَّلاةِ ، فيخْرُجُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ إِلَيْها .

«وكانَ يرْكَعُ أوْ يَسْجُدُ ، فَتقِفُ الْعَصَافِيرُ فَوْقَ ظَهْرِهِ وكاهلِهِ ، لا تَحْسَبُهُ مِنْ طُولِ رُكُوعِهِ وسُجُودِهِ إلا جِدارًا أو ثَوْبًا مطْروحًا .

«ولقدْ مرَّت قذِيفةُ مِنْجَنيقٍ ـ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَجَرِ الضَّخْمِ أَلْقاها جنُودُ الطَّاغِيةِ (الْحجَّاجِ بِنِ يوسُفَ الثَّقَفِىِّ) عليْهِ ـ بَيْنَ لِحْيَتِهِ وصَدْرِهِ وهوَ يُصَلِّى ، فوَاللَّهِ ما أحَسَّ بها ولا اهْتزَّ لها ، ولا قَطعَ مِنْ أَجْلِها قِراءَتَهُ ، ولا تعَجَّلَ رُكُوعَهُ .



لقدْ فَهِمَ مَعْنَى الصَّلاةِ فَهْمًا صَحيحًا . فهي لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حَرَكَاتٍ يُؤدِّيها ، أوْ عادَةً تعوَّدَ أنْ يقومَ بها . ولَكنَّها صِلَةٌ بيْنَ الْمَرءِ وربِّه ، لا بُدَّ فيها منْ حُضُورِ الإنسانِ وبَالُهُ خالٍ منْ مَشَاغِلِ الدُّنْيا ، وقلْبُهُ عامرٌ بالإيمانِ والْحُبِّ للَّه .



فما إنْ يدْخُل الإنسانُ فى صَلاتِه ، ويقولُ : (اللّهُ أكْبرُ) ، فإنَّ ذلِك يَعْنى : أنَّ اللّهَ تعالى أَكْبَرُ مِنْ كلِّ شْىءٍ فى حياتِنا ، ولذلك يجبُ أنْ تَخْشَعَ كلُّ جَوارِحنا لِلّه ، ولا نَنْشَغِلَ بشَىْءٍ يُلْهينا عَنِ الْخُشُوعِ والْخُضُوعِ الْكامِلِ للّه .

ومـا دامَ المسْلمُ يركَعُ ويسْـجُـدُ فى صـلاته للَّه ، فـلا يُمْكنُ أَنْ يَرْكَعَ أَوْ يسْـجُـدَ للْبـاطِلِ ، ولا يُمكِنُ أَنْ يَرْضَى بالظُّلْم والْهَوانِ . .

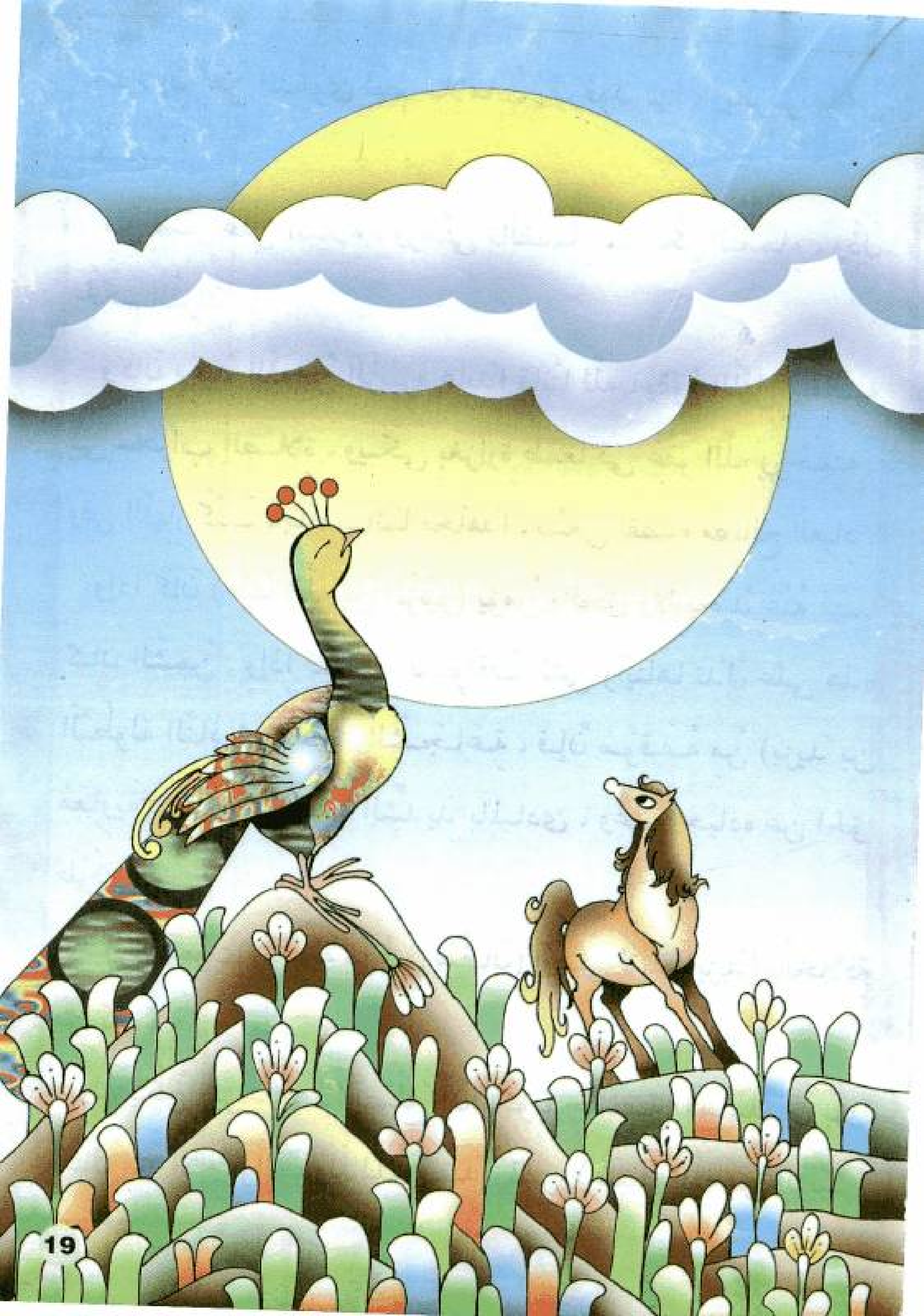
وهكذا كانَ (عبْدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) . .

ولمْ يكْتَفِ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) بأَنْ يفْهمَ العِبادَةَ على هذا النَّحْوِ الصَّحيحِ ، ولكنَّهُ كانَ حَرِيصًا على أنْ يوَصِّلَ هذا المعْنَى لِكُلِّ الْمسْلمِينَ ، لِكىْ يفقَهوا معْنَى الْعِبادَةِ الحقِيقىِّ .

إنَّ العبـادَةَ عِنْدهُ أقوالٌ وأفْعالٌ وسُلُوكٌ ، فهو يقولُ فى إِحْدَى خُطَبِه الرَّائِعَةِ فى مَوْسِمِ الْحَجِّ .

ـ « أمَّا بعدُ ، فإنَّكُمْ جِئْتُمْ منْ آفَاقَ شَتَّى وُفُودًا على اللَّهِ تعالَى ، فحقًا على اللَّه أنْ يُكرِمَ وَفْدَهُ ، فمَنْ جَاء يطْلُبُ ما عِنْدَ اللَّه فإِنَّ طالِبَ اللَّهِ لا يَخيبُ ، فصَدِّقوا قَوْلَكُمْ بِفِعْلٍ ، فإِن مِلاكَ الْقَوْلِ الْفِعْلُ ، والنِّيَّةُ نِيَّةُ الْقُلُوبِ» .

و(عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْر) كانَ دائِمَ التَّحْذِيرِ للمسْلمِينَ منْ عَدَمِ الإِخْلاصِ ، ويَنْصَحُهُم بإخْلاصِ النِّيَّةِ للَّهِ تعالَى لِكىْ يكونوا منْ أَهْلِ التَّقْوَى ، وكانَ يقولُ باسْتِمْرارٍ :



ـ « إنَّ أهْلَ التَّقْوى لَهُمْ عَلامَاتٌ يُعْرَفونَ بها ، ويعْرِفونَها مِنْ أَنْفُسِهِمْ :

مِنْ صبْرٍ على الْبلاءِ ، ورِضًى بالْقَضاءِ ، وشُكْرِ النَّعْماءِ ، وذُلٍّ لحُكْمِ الْقُرآنِ . »

وكانَ «عبدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ» عابِدًا قانِتًا للّه ، يَقومُ اللَّيْل ويقْضِيه فى مِحْرابِ الصَّلاةِ ، ويَبْكى بِغَزارةٍ طمَعًا فى عَفْوِ اللَّه ورَحْمَتِه . وفى النَّهارِ كُنْتَ تَجِدُهُ صَائمًا مُجاهِدًا ، يَسْعى لِقضاءِ مصالِحِ الْعِبادِ .

وإذا كانَ (عبْدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ) يؤمِنُ بالْحَقِّ ولا يَحيدُ عَنْهُ مهما كان الثَّمَنُ . وإذا كانَتِ الْمواقِفُ التى رأيْناها تدُلُّ على هذه الْبُطُولةِ النَّادِرَةِ والْقُوَّةِ والشَّجاعَةِ ، فإنَّ مَوْقِفَهُ مِنْ (يزيدَ بنِ مُعَاوِيةَ) يدُلُّ على إيمانِه الشَّديدِ بالمبادئ ، وعدم حياده عن الحق طَرْفَةَ عَيْنٍ .

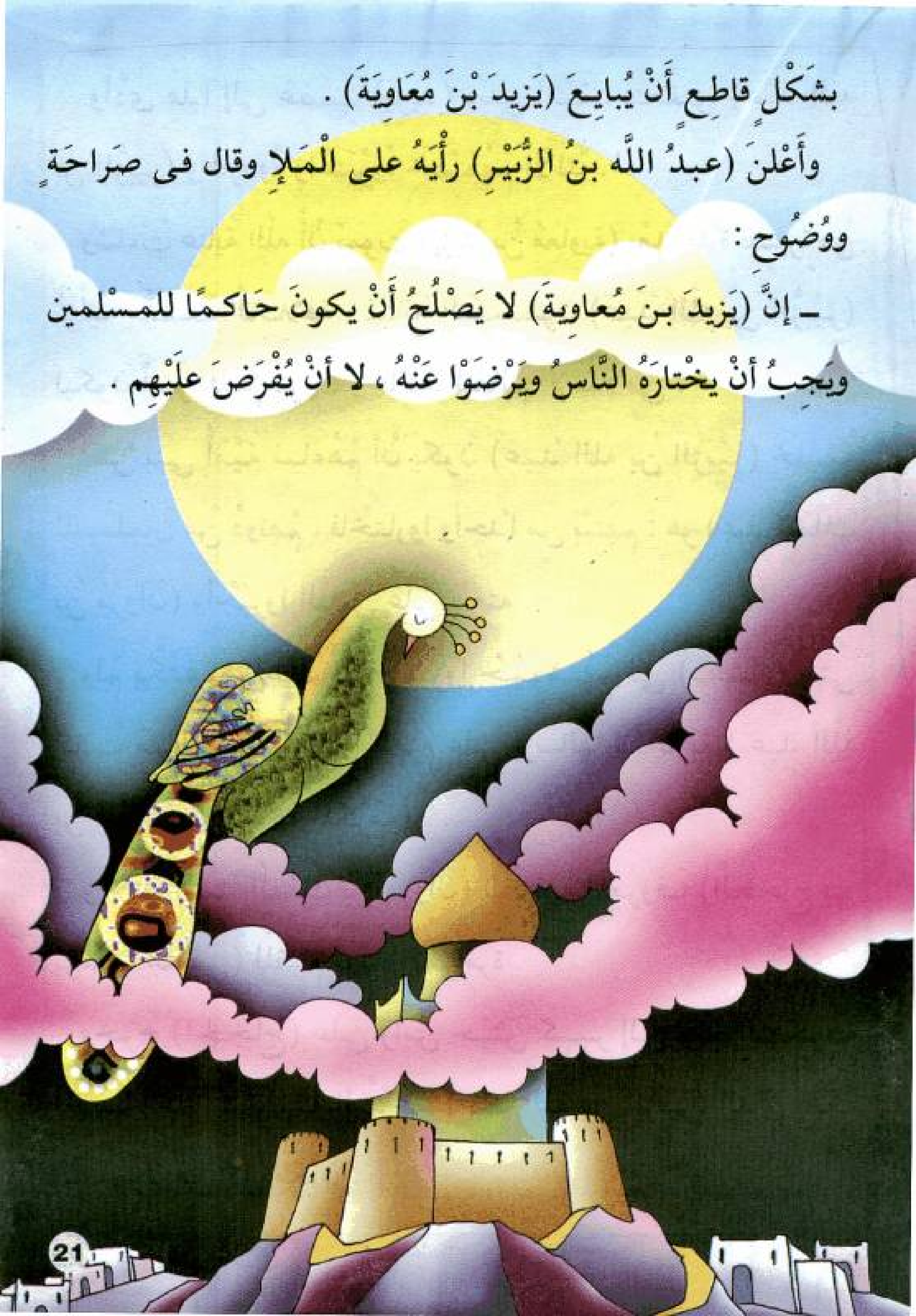
قبْلَ أَنْ يَموُتَ (مُعاوِيَةُ بنُ أبى سُفْيانَ) أَوْصى لابْنِه (يَزيدَ) بالْخِلافةِ مِنْ بَعْدِه .

ولمْ يكُنْ (يزيدُ) هذا يَصْلُحُ أنْ يكونَ خَليفةً للمسْلمينَ بأىِّ حالٍ مِنَ الأحْوالِ ، ولِذلك فقدْ رَفضَ (عبدُ اللّه بنُ الزُّبَيْرِ)

بشَكْلٍ قاطِعٍ أَنْ يُبايِعَ (يَزيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ) .

وأَعْلنَ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) رأْيَهُ على الْمَلإِ وقال في صَراحَةٍ ووُضُوحٍ :

ـ إنَّ (يَزيدَ بنَ مُعاوِيةَ) لا يَصْلُحُ أَنْ يكونَ حَاكِمًا للمسْلمين ويَجِبُ أنْ يخْتارَهُ النَّاسُ ويَرْضَوْا عَنْهُ ، لا أنْ يُفْرَضَ علَيْهِم .



وأَدّى هذا إلى غضَبِ (يَزيد) وبَنِى أُمَيَّةَ، فتعقَّبوا (عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبيرِ) وطارَدوهُ واعْتَبَرُوهُ خَصْمَهُمُ الألَدَّ.

وشاءَتْ عِنايةُ اللَّهِ أنْ يَموتَ (يزيدُ بنُ مُعاويةَ) بعْدَ مُدَّةٍ قصيرةٍ مِنْ تَوَلِّيه مَنْصِبَ الْخِلافةِ، فبايَعَ الْمُسْلمونَ (عبدَ اللَّه بنَ الزُّبَيْرِ) ليكونَ أَميرًا للمؤْمنين، وحاكِمًا للْعالَمِ الإسْلامِيِّ.

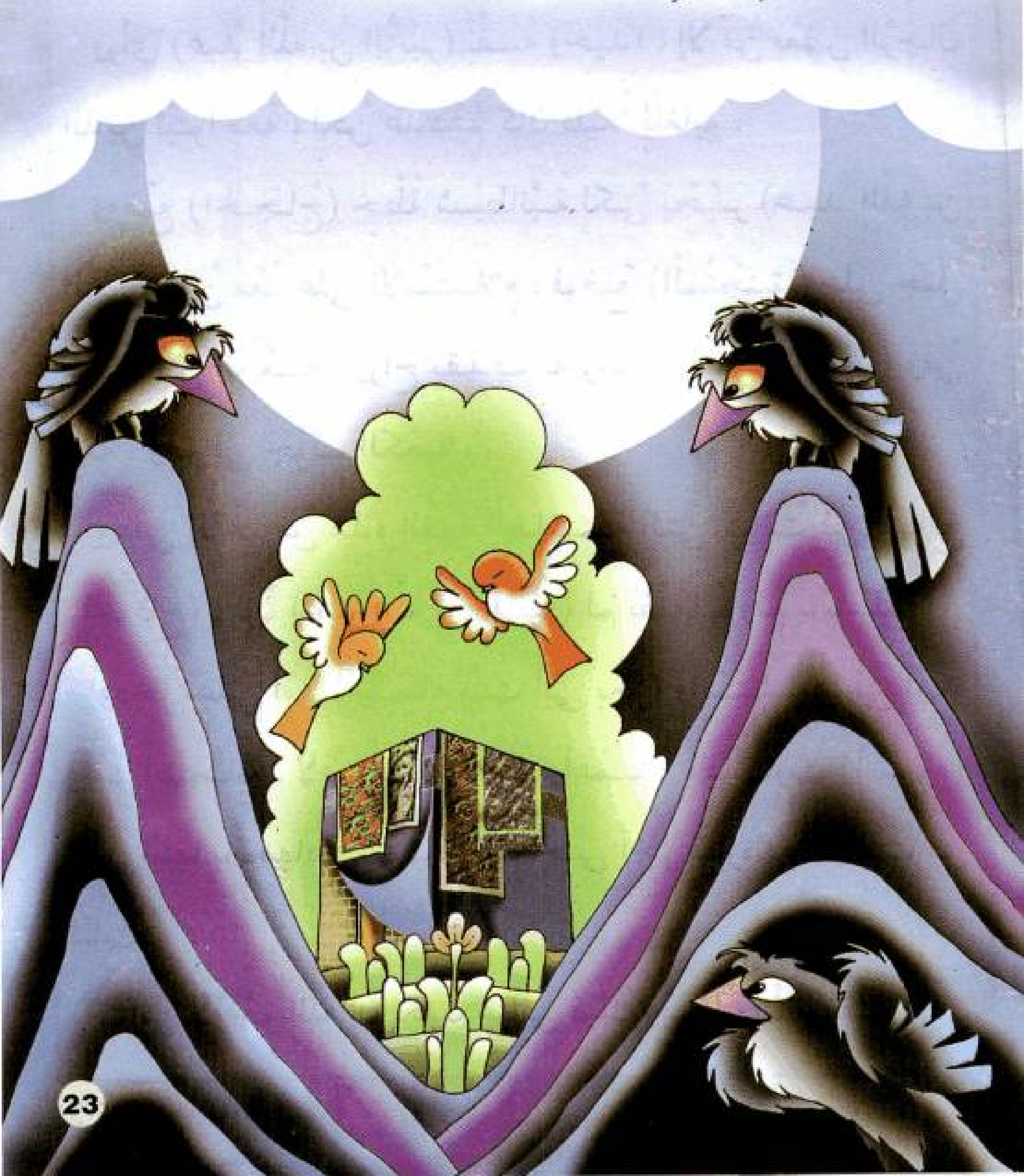
لكنَّ بنى أُمَيَّةَ ساءَهُمْ أنْ يكونَ (عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْر) خليفةً للمسْلمينَ مِنْ دُونِهِمْ، فاخْتاروا واحِدًا من بَيْنِهم: هو (عبدُ الْمَلِكِ بنُ مَرْوانَ) وأجْبَروا النَّاسَ على بَيْعته.

ولمْ يكْتَفوا بذلكَ بلْ جَهَّزُوا جُيُوشَهُمْ فى (دِمَشْقَ) التى كانتْ مَقَرًا لَهُمْ، وعَقَدوا الْعَزْمَ على إرسالها لِمُحارَبَةِ (عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ) فى (مكَّةَ المكرَّمَةِ)..

واخْتارَ (عبدُ الْمَلِكِ بنُ مروانَ) الطَّاغِيةَ المعْروفَ (الْحَجَّاجَ بنَ يوسُفَ الثَّقَفِىَّ) لِلْقِيامِ بِهَذِهِ الْمُؤامَرَةِ.

وخرَجَ (الحَجَّاجُ) على رأْسِ جيْشٍ كَبيرٍ إلى مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ لِلْقضاءِ على الْخليفَةِ الشَّرْعِىِّ (عبدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْرِ) الذى بايَعهُ المسْلمونَ فى كلِّ مكان.

وحَاصَرَ (الْحجّاجُ) مكّةَ ومنعَ عنْ أهْلِها الطَّعامَ ، وعاثَ فيها فسَادًا ، فحصَدَ بِسَيْفِه رُءُوسَ الشُّيوخِ والشّبابِ والنِّساءِ منْ أَنْصارِ (عبدِ اللّه بنِ الزُّبَيْرِ) .



واشْتَدَّ الحِصارُ على أَهْلِ مكَّةَ ، فاضْطُرَّ كثيرٌ مِنْ أَنْصارِ (عبدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْرِ) إلَى الاسْتِسْلامِ والانْسِحابِ ، مُؤْثِرينَ السَّلامَةَ والنَّجَاةَ عَلَى مُواصَلَةِ الْجِهادِ ضِدَّ الظُّلْمِ .

ورأى (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) نَفْسَهُ وحِيدًا ، إلا مِنْ بَعْضِ الرِّجالِ الذين ثَبَتُوا معَهُ ، لكنَّ عددَهُمْ كانَ قليلاً لِلْغاية .

ووضَعَ (الحجَّاجُ) خِطَّةً شَيْطانِيَّةً لِكَيْ يَجْبُرَ (عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ) ومَنْ معَهُ على الاسْتسلام ، فوضعَ (الْمَنْجَنيقَ) على جَبَلٍ قريبٍ مِنَ الْكَعْبَةِ ، وراحَ يقْذِفُ به (عبدَ اللَّه بنَ الزُّبَيْرِ) ومَنْ معَهُ ، وهم فى جَوْفِ الْكَعْبةِ .

وعلى الرَّغْمِ مِنْ هذه القُوَّةِ الْغاشِمَةِ التى كانتْ فى صَالحِ (الحَجَّاجِ) ، فإنَّ (عبدَ اللَّه بنَ الزُّبَيْرِ) لم يَضْعُفْ ولمْ يَسْتَسْلِمْ .

ودخلَ على أُمِّه (أَسْماءَ بِنْتِ أَبى بكْرٍ) واسْتَشارَهَا فى أَمْرِهِ وأَمْرِ أَصْحابِه ، لأنَّ رأْيها لهُ وَزْنُه وأَهَمِّيتُه ، فأشارتْ (أَسْماءُ) على ابْنِهَا بالْجِهادِ فى سبيلِ اللَّهِ حتى آخِرِ قَطْرةِ دَمٍ ، وقالَتْ فى ثَبَاتٍ :

ـ إِنِى لأَرْجُو اللَّه أَنْ يكونَ عزائى فيكَ حَسَنًا ، إنْ سَبَقْتَنى إِلَى



اللَّه أَوْ سَبَقْتُكَ إلَيْه .

ثمَّ دعتْ لهُ وودَّعَتْهُ وهى تقولُ :

ـ يا بُنَىَّ إياكَ أَنْ تُعْطِى خِصْلَةً مِنْ دِينكَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ .

وخرجَ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) ، واحْتَمى هو ومَنْ معَهُ بالبَيْت الْحرامِ ، الذى حرَّمَ اللَّهُ فيهِ الْقِتالَ ، فقالَ عَنْهُ : «ومَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِنًا»

وأسْرعَ رَجُلٌ مِنْ أَتْباع (عبدِ اللَّه بنِ الزُّبَيْرِ) إلَيْه ، عِنْدَمَا رأَى جُنودَ الْحجَّاج تقْتَحِمُ الْبَيْتَ الْحرَامَ ، وقال الرَّجُلُ لابْنِ الزُّبَيْرِ :

ـ سوْف نَفْتحُ لكَ بابًا لِكَىْ تَصْعَدَ إِلى الْكَعْبةِ ، وتحْتَمِى بها مِنْ بَطْشِ الْحَجَّاجِ وجُنُودِه .

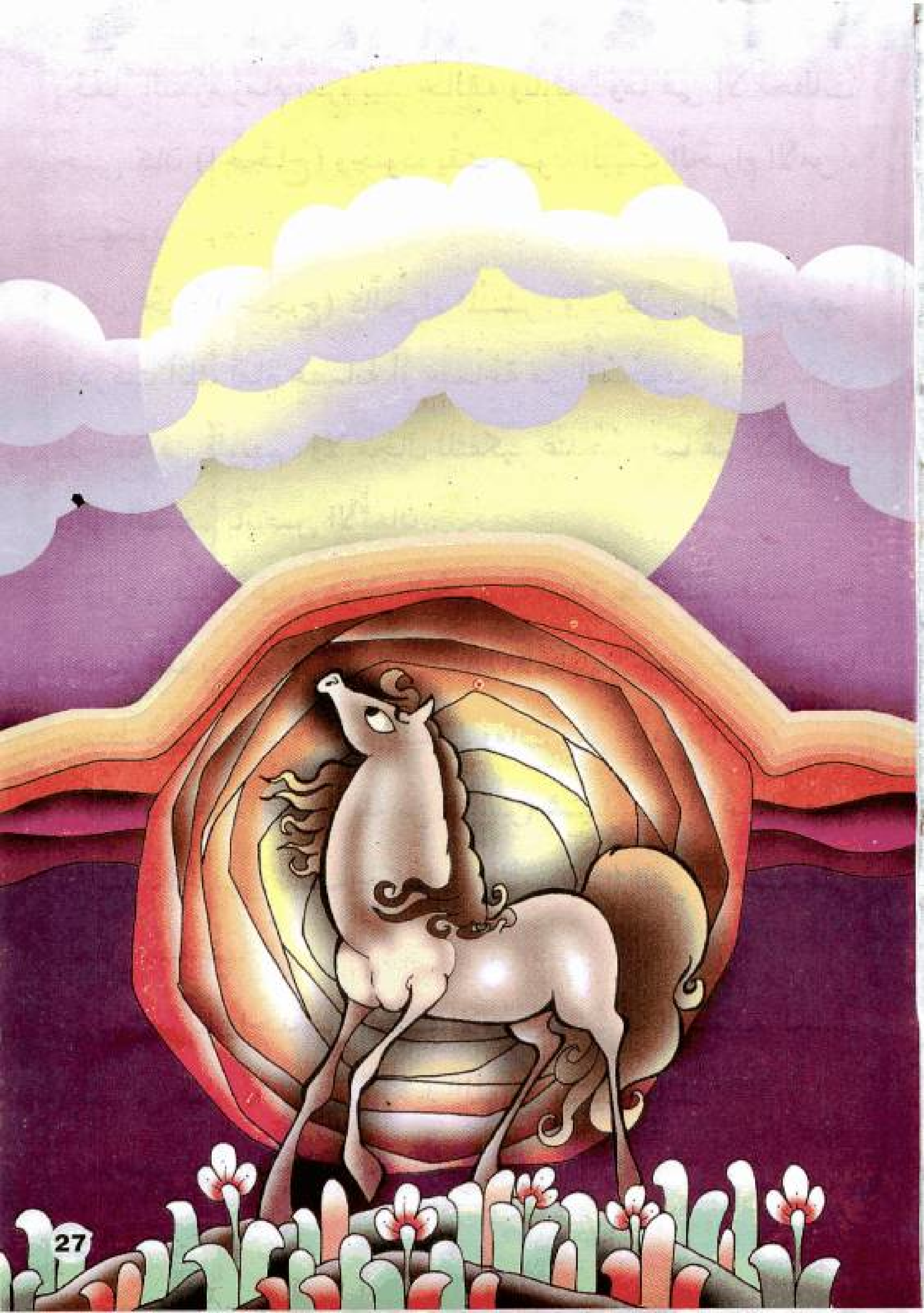
لكنَّ (عبدَ اللَّه بنَ الزُّبَيْرِ) أجابهُ قائِلاً :

ـ «مِنْ كُلِّ شَىْءٍ تَحْفَظُ أخاكَ إلا مِنْ نَفْسِهِ وأجَلِه .

ثم أَضافَ فى حَسْرَةٍ وأَلَم :

ـ وهلْ لِلْكَعْبَةِ حُرْمةٌ عِنْدَ هؤلاءِ ؟ واللَّهِ لوْ وجَدوكُمْ مُتَعَلِّقِينَ بأسْتارِ الْكَعْبَةِ لَقَتْلُوكُمْ .

وسَلَّم (عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ) أَمْرَهُ إلى اللَّهِ ، وما أَجْمَلَ أَنْ



يجْعَلَ المَرْءُ زِمامَ أَمْرِه بيَدِ خَالقِه وبارِئه . وما هى إلا لَحظَاتٌ حتَّى كانَ (الحَجَّاجُ) وجُنُودُه يقْتحِمونَ الْبَيْتَ الْحَرامَ الآمِنَ ، وَيَنْتهِكُونَ حُرْمَتَهُ .

كانَ جُنودُ (الحَجَّاج) كالْجَرادِ المُنْتَشِرِ ، ولوْ نظَرْتَ إلى وُجُوهِهمْ لأَدركْتَ أنَّكَ أَمامَ عِصابةٍ أَوْ جَماعَةٍ مِنَ الْمُجْرمينَ ، فلا مكانَ للرَّحْمَةِ فى قُلُوبهمْ ، ولا مجَالَ للتفْكير عِنْدَهُمْ ، فما هُمْ إلاَّ أُجرَاءُ باعُوا أَنْفُسَهُمْ بأَبْخَسِ الأَثْمان .

وبرغْم كَثْرَةِ عَددِ هؤلاءِ الْجُنودِ ، وشِدَّةِ بطْشِهِمْ ، فقدْ راحَ (عبدُ اللَّه بنُ الزُّبَيْرِ) يُقَاتِلُ قِتَالَ الأَبْطال ، حتى خرَّ صَرِيعًا وسَقطَ شهِيدًا بعْدَ مُقَاوَمَةٍ عَنيفَةٍ ، وماتَ وهُوَ رافعُ الرَّأْسِ .

إِنَّ شجاعَةَ (عبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ) شَهِدَ بها الأعْداءُ قبْلَ الأَصْدقاءِ ، فهِىَ تُشْبِه حِكايَاتِ (الأَسَاطِير) التى يَصْعُبُ علَى الْعَقْلِ تَصْدِيقُهَا .

فها هوَ ذا واحِدٌ مِنَ الْبَيْتِ الأُمَوِىِّ ، يَسْأَلُه الْخلِيفَةُ الْعَادِلُ (عُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزيزِ) عنْ (عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ) قائلاً :

ـ صِفْ لِى (عبدَ اللَّه بنَ الزُّبَيْرِ) !



فأجَابهُ :

ـ «واللَّهِ ما رأيتُ جِلْدًا قَطُّ رُكِّبَ على لَحْم ، ولا لَحْمًا على عَصَب ، ولا عَصَبًا على عَظْم ، مثْلَ جِلْدِه ، ولَحْمِه ، وعَصَبِه .

ولا رأيتُ نَفْسًا بيْنَ جَنْبَيْنِ رُكِّبَتْ بيْنَ جَنْبَيه .

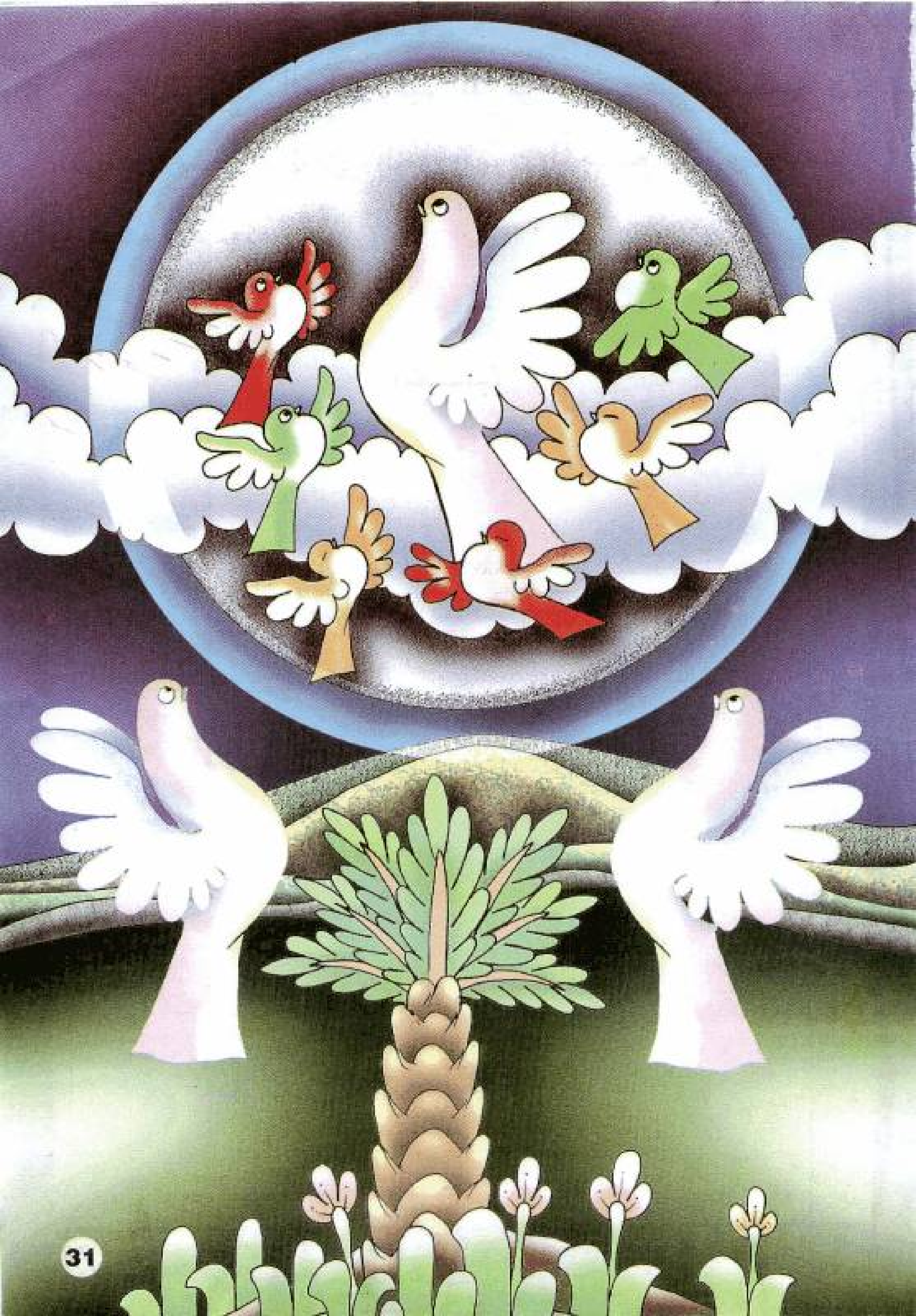
ولقدْ قامَ يوْمًا إلى الصَّلاةِ ، فمرَّ حَجَرٌ مِنْ حِجارَةِ الْمِنْجَنيقِ بَيْنَ لِحْيَتِهِ وَصَدْرِهِ ، فواللَّهِ ما خَشعَ له بَصَرُهُ ، ولا قَطَعَ لهُ قِراءتَهُ ، ولا رَكَعَ دُونَ الرُّكُوعِ الذى كانَ يَرْكَعُ .

ولَئِنْ كانَ (عبدُ اللَّهِ بنُ الزُّبَيْرِ) قدْ سَقَطَ جَسَدُهُ مَيْتًا فى هذه المعْرَكَة ، فإنَّ رُوحَهُ الطَّاهرةَ قَدْ صَعَدَتْ وهى تُرَفْرِفُ فى السَّماءِ ، سَعِيدةً بمُسْتَقَرِّها الأبَدِىِّ فى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ والأَرْضُ .

قالَ تعالَى :

«ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ويَسْتَبْشِرُونَ بالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ألا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ»

آل عمران (١٦٩ ، ١٧٠)



رَحِمَ اللَّهُ الْبَطَلَ الْعَظِيمَ (عبدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ) صاحِبَ الْمبَادِئِ السَّامِيَةِ ، وشَهِيدَ الْحَقِّ ، الذى ظهَرَتْ لِلْجَميع قُوَّتُهُ وشَجَاعَتُهُ وَرُجُولَتُهُ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفارِهِ .

(تمَّــــت)

رقم الإيداع : ٢٠٨٠

الترقيم الدولى : ٤ ـ ٣٠٧ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧